

## تشريع الله تعالى أعدل وأحكم الشرائع

إن البشرية جمعاء لو اجتمعت من أجل أن تأتي بتشريع وأحكام وقوانين يحكمون إليها فلن يستطيعوا أن يأتوا بمثل ما جاء به نبي الإسلام من عند ربه، لأن الذي خلقهم هو الله والذي يعلم شئونهم في الحال وفي المال هو الله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١) .

ولذا ألزم الله تعالى نبيه أن لا يعدل عن حكم الله إلى غيره، وحذره من أن يتبع أهواء الناس فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِمْ فَاحِشَكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَرْزَخًا وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أَتَمَّ وَلَٰكِنْ يُسَبِّحُكُمْ فِي مَاءٍ أَنْتُمْ فَاسْتَفِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٢) وَأَن أَمْحُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٣) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفِقُونَ﴾ (٤) .

(١) سورة: الملك الآية: ١٤ .

(٢) سورة: المائدة الآيات: ٤٨ - ٥٠ .

يقول ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ الشريعة هي ما يُبتدأ فيه إلى الشيء ومنه يُقال: «شَرَعَ في كذا» أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهي ما يُشرع منها إلى الماء. أمّا «المنهاج»: فهو الطريق الواضح السهل، والسُنن: الطرائق، فتفسير قوله: ﴿شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد» يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وصمته كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢١) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢٢) الآية، وأمّا الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس،

(١) سورة: الأنبياء الآية: ٢٥.

(٢) سورة: النحل الآية: ٣٦.

وَحَفِيفًا فَيَرَادُ فِي الشَّدَّةِ فِي هَذِهِ دُونَ هَذِهِ. وَذَلِكَ لِمَا لَهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الدَّائِمَةِ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ: قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ يَقُولُ: سَبِيلًا وَسُنَّةً، وَالسُّنَنُ مُخْتَلِفَةٌ: هِيَ فِي التَّوْرَةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْفُرْقَانِ شَرِيعَةٌ، يُحِلُّ اللَّهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ بِمَنْ يَعْصِيهِ، وَالَّذِينَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ: التَّوْحِيدُ وَالْإِحْلَاصُ لِلَّهِ، الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

**وَقِيلَ:** الْمُخَاطَبُ بِهَذَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَمَعْنَاهُ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْأُمَّةُ ﴿شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ أَيُّ: هُوَ لَكُمْ كُلُّكُمْ، تَقْتَدُونَ بِهِ.

هَذَا مَضْمُونُ مَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَيَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فَلَوْ كَانَ هَذَا خِطَابًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لَمَا صَحَّ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وَهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنَّ هَذَا خِطَابٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، وَإِخْبَارٌ عَنْ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَوْ شَاءَ لَجَمَعَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَشَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يُنْسَخُ شَيْءٌ مِنْهَا. وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِكُلِّ رَسُولٍ شَرْعَةً عَلَى حِدَةٍ،



ثُمَّ نَسَخَهَا أَوْ بَعْضَهَا بِرِسَالَةٍ الْآخِرِ الَّذِي بَعْدَهُ حَتَّى نَسَخَ الْجَمِيعَ بِمَا بَعَثَ بِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ الَّذِي ابْتَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْكُمْ أَنتَ وَجِدَّةٌ وَلَكِنْ يَسْتَلُوكُمْ فِي مَاءِ اثْنَتَيْنِ﴾ أَي: أَنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ الشَّرَائِعَ مُخْتَلِفَةً، لِيُخْتَبِرَ عِبَادَهُ فِيمَا شَرَعَ لَهُمْ، وَيُثَبِّتَهُمْ أَوْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ بِمَا فَعَلُوهُ أَوْ عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى نَذَبَهُمْ إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْمُبَادِرَةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَاتِّبَاعُ شَرْعِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ نَاسِخًا لِمَا قَبْلَهُ، وَالتَّصْدِيقُ بِكِتَابِهِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ آخِرُ كِتَابِ أَنْزَلَهُ.

**ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أَي: مَعَادُكُمْ أَتَيْهَا النَّاسُ وَمَصِيرُكُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٨) أَي: فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَيَجْزِي الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ، وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، الْعَادِلِينَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، بَلْ هُمْ مُعَانِدُونَ لِلْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ، وَالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَالْأَدِلَّةِ الدَّامِغَةِ. **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَأَن أَعْلَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ تَأْكِيدٌ لِمَا

تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَالنَّهْيَ عَنْ خِلَافِهِ.

**لَمْ نَقُلْ (تَعَالَى):** ﴿وَأَخَذَرَهُمْ أَنْ يَقْسُوا لَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَرْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أَي: اخْذَرْ أَعْدَاءَكَ الْيَهُودَ أَنْ يُدْلِسُوا عَلَيْكَ الْحَقَّ فِيمَا يُنْهَوْنَ إِلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَلَا تَغْتَرَّ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَذِبَةٌ كَفُورَةٌ خَوْنَةٌ. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَي: عَمَّا تَحْكُمُ بِهِ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَخَالَفُوا شَرْعَ اللَّهِ ﴿فَأَنقَلَمْنَا أَنفُسَنَا بِأَن يُدْخِلَهُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضُ دُورِهِمْ﴾ أَي: فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِيهِمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الْهُدَى لِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ الَّتِي اقْتَضَتْ إِضْلَالَهُمْ وَنَكَالَهُمْ. ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ أَتَائِهِمْ لَقَيْسُوتُ﴾ (٨) أَي: أَكْثَرُ النَّاسِ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ نَاوُونَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٩).

**وَقَوْلُهُ:** ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يُنَكِّرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُسْتَمِيلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدِلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَرْزَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِضْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرُّجَالُ بِلا مُسْتَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الصَّلَاحَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَقْصُرُونَ بِأَرْزَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ.

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ﴾ أَي: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ،

وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومَ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠)  
 أي: وَمَنْ أَعْدَلَ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ شُرْعَهُ، وَأَمِنَ  
 بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بِخُلُقِهِ مِنَ  
 الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْفَادِرُ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ (١).

بقول الإمام الشنقطي في تفسيره: «فَهَلْ فِي أَوْلِيَّتِكَ الْمُشْرَعِينَ  
 مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنْ حُكْمُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِاتِّبَاعِ  
 الْهَوَى؟ وَأَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ أَصَابَهُ اللَّهُ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِ؟ لِأَنَّ الذُّنُوبَ لَا  
 يُؤَاخِذُ بِجَمِيعِهَا إِلَّا فِي الْآخِرَةِ؟ وَأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ  
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟

سُبْحَانَ رَبَّنَا وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ.  
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ  
 الْفَاصِلِينَ﴾ (٥١)

فَهَلْ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ يَقُصُّ الْحَقَّ، وَأَنَّهُ خَيْرُ  
 الْفَاصِلِينَ؟

وَمِنْهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿أَفَعَبَرَ اللَّهُ بِتَنبِيْهِ حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُكْتَبُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مُّزَلُّونَ مِنْ رَبِّكَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٧، ١٣٢) بتصرف.



وَالْحَقُّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿٥١﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴿٥٢﴾  
 فَهَلْ فِي أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ هُوَ  
 الَّذِي أُنْزِلَ هَذَا الْكِتَابَ مُفَصَّلًا، الَّذِي يَشْهَدُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُ مُنْزَلٌ  
 مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ، وَبِأَنَّهُ تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا - أَيُّ صِدْقًا فِي  
 الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ - وَأَنَّهُ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّامِعُ  
 الْعَلِيمُ؟

سُبْحَانَ رَبِّنَا، مَا أَكْبَرُ مَا أَكْبَرُهُ، وَمَا أَجَلُ شَأْنِهِ.  
 وَبَيْنَهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ  
 فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَا اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقْعُدُوا ﴾ (٥٣)  
 فَهَلْ فِي أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ هُوَ  
 الَّذِي يُنْزِلُ الرِّزْقَ لِلْخَلَائِقِ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَخْلِيلٌ وَلَا  
 تَحْرِيمٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟ لِأَنَّ مِنَ الصَّرُورِيِّ أَنْ مَنْ خَلَقَ الرِّزْقَ وَأَنْزَلَهُ هُوَ  
 الَّذِي لَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِ بِالتَّخْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ؟  
 سُبْحَانَهُ - بَجَلٍ وَعَمَلًا - أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي التَّخْلِيلِ  
 وَالتَّحْرِيمِ (١).

ويقول رحمه الله في موضع آخر:

الْحُكْمُ لَهُ وَحْدَهُ بَجَلٍ وَعَمَلًا لَا حُكْمَ لِغَيْرِهِ أَلَيْسَ، فَالْحَلَالُ مَا

(١) أغواء البيان (٧/ ٥٢).

أَحَلَّهُ تَعَالَى، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ، وَالذِّينُ مَا شَرَعَهُ، وَالْقَضَاءُ مَا قَضَاهُ، وَحُكْمُهُ جَلُّ وَعَلَا الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَتْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ٥ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يَقْضِيهِ جَلُّ وَعَلَا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الشَّرِيعُ دُخُولًا أَوَّلِيًّا.

**كَقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ٦، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٧، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ الْخِطَابُ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ مُتَّبِعِي أَحْكَامِ الْمَشْرِعِينَ غَيْرَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَهَذَا الْمَفْهُومُ جَاءَ مُبَيَّنًّا فِي آيَاتٍ أُخْرَى، كَقَوْلِهِ فِيْمَنْ اتَّبَعَ تَشْرِيعَ الشَّيْطَانِ فِي إِبَاحَةِ الْمَيْتَةِ يَدْعُو أَنَّهَا ذَيْبَحَةُ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحِيَ إِلَكُمْ أَفْئَاتِهِمْ لِيُجْنِدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ٩، فَصَرَّحَ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِطَاعَتِهِمْ، وَهَذَا الْإِشْرَاقُ فِي الطَّاعَةِ، وَاتِّبَاعِ الشَّرِيعِ الْمُخَالِفِ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُرَادُ



بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا إِلَيْكُم بِرَبِّهِمْ لَا يُعْبَدُونَ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَإِنْ لَعَبُدُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّ إِسْرَافِيلَ: ﴿يَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٨﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿٩﴾، أَيْ: مَا يُعْبَدُونَ إِلَّا شَيْطَانًا، أَيْ: وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ تَشْرِيعِهِ، وَلِذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُطَاعُونَ فِيَمَا رَزَيْنَا مِنَ الْمَعَاصِي شُرَكَاءَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زُكِّرَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا لِغَدِيٍّ بْنِ حَارِثٍ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُمْ أَحْلَوْا لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ اتَّخَذَهُمْ إِيَّاهُمْ أَرْبَابًا.

وَمِنْ أَضْرَحِ الْأَدِلَّةِ فِي هَذَا: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي «سُورَةِ النَّسَاءِ» بَيَّنَّ أَنَّ مَنْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ رَغْبَتِهِمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ دَعْوَاهُمْ إِلَى إِيْمَانٍ مَعَ إِرَادَةِ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ بِاللُّغَةِ مِنَ الْكُذِبِ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ الْعَجَبُ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ  
يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

وَيَهْدِيهِ النَّصْرُ مِنَ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةُ الظُّهُورِ: أَنَّ  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَائِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى آلِ سِنَةِ  
أُولِيَائِهِ مُخَالَفَةٌ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى آلِ سِنَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَا يَشْكُ فِي كُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ  
بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ <sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام السعدي في تفسيره: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي:

أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية؟

وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا  
حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي  
بالثاني المبني على الجهل والظلم والغبي، ولهذا أضافه الله  
للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل  
والقسط، والنور والهدى.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ أَهْلِ حُكْمٍ لِقَوْرِ يُوقِتُونَ﴾ ﴿٦١﴾ فالموثق هو الذي

يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه - ما في حكم الله من  
الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلاً وشرعاً - اتباعه. واليقين، هو

(١) أضواء البيان (٣/ ٢٥٩).

العلم التام الموجب للعمل.

**ويذكر رحمه الله ما في الشرع من جمال وكمال فيقول:** «إنما  
الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا  
للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طريقه  
وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته  
الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما  
احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.



(١) تفسير السعدي (١٠٥).